الإسرائيلي فكان جوابه الرفض القاطع. دعا المفاوضون إلى ديارهم، ودخلت المنطقة إلى طريق مسدود، وكان واضحاً أنها تنتظر عود الثقاب أو الشرارة التي تشعلها.

جاءت الشرارة من خلال زيارة رئيس حزب الليكود الجديد "أرئيل شارون" الذي أصبح زعيم المعارضة في دولة الاحتلال، حيث دخل باحة المسجد الأقصى يحرسه المئات من جنود وشرطة الاحتلال وبذلك أطلقت الشرارة التي أشعلت المنطقة، فهبت الجماهير الغاضبة الثائرة في وجهه وضد زيارته وتدنيسه للمسجد الأقصى المبارك، خرجت الجماهير بصدورها العارية في غزة والضفة والقدس إلى حواجز جيش الاحتلال لتلتحم في مواجهات عنيفة بالحجارة والزجاجات الفارغة، وبدأت تتكرر صور الانتفاضة الأولى، وبدا واضحاً أن ردة فعل جيش الاحتلال عنيفة وغير منطقية، خاصة في أجواء حكومة يصفها الكثيرون بأنها حكومة سلام ومفاوضات، ولكن باراك السياسي لم يختلف مطلقاً عن باراك العسكري، بل ازداد حدة وقوة في معركة السياسة وهو يعتقد أن الجانب الفلسطيني قد دفع بالجماهير إلى الشارع ليشكل عليه ضغطاً سياسياً وإعلامياً ليجبره على التنازل عن مواقفه التي عرضها في مؤتمر كامب ديفيد فصدرت الأوامر لجيش الاحتلال للتعامل مع الجماهير المنتفضة بمنتهى القسوة، ودون أي رحمة أو أي رأفة، وبدأ الفتيان المتظاهرون يجتمعون عند الحواجز ونقاط الاحتكاك.عشرات الشهداء ومئات الجرحى والجماهير تزداد حماسة والتهاباً واندفاعاً كعادتها كلما زادت تضحياتها، فيزداد عدد الشهداء والجرحى.

بعض رجال الشرطة الفلسطينية أو أفراد الأجهزة الأمنية لم يتمكنوا من ضبط أعصابهم، وهم يرون أبناءهم وإخوانهم تحصدهم رشاشات جنود الاحتلال، أو يتسلى على جماجمهم قناصو الاحتلال، فثارت حمية البعض، وبدأوا يردون، فحدثت حالات قتل وإصابات في جيش الاحتلال، وبات واضحاً أن الأمور تندفع إلى عنق الزجاجة إلى غير رجعة وان ما يحدث ليس مجرد لعبة لمكاسرة الأيدي بين القيادتين الفلسطينية والإسرائيلية، إنها ليست محاولة من الجانب الفلسطيني لتحسين الموقع التفاوضي، كما صرح بعض المفاوضين، الأمور أصبحت أكبر من أن تضبط، وأفلتت من أيدي من أرادوها مجرد ورقة لتعديل الوضع التفاوضي.

تجاوز عدد الشهداء الفلسطينيين عدة مئات، وجنود الاحتلال بناءً على توجيه قيادتهم لا يرقبون في جماهير شعبنا إلاً ولا ذمة، ويُعملون فيها القتل والذعر.